A
320.54
Sh562m

سلسلة ابحاث « فلسطينية » – ٥

B. U. C. LIBRARY
11 APR 1990
RECEIVED

مشروع الدولة العربية المتحدة

الأستاذ أحمد الشقيري
رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

مركز الأبحاث – منظمة التحرير الفلسطينية
بيروت
كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٧

تمهيد

يقدم مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية ، في هذه الحلقة الخامسة من سلسلة ابحاث فلسطينية ، مشروع الدولة العربية المتحدة الذي وضعه الاستاذ احمد الشقيري ، رئيس المنظمة ، واذاعه في اواسط شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٦٧ . وقد لخص فيه المبادىء الاساسية لمشروع الدولة العربية المقترحة .

وقدم المركز للمشروع المذكور بعرض سريع لتطور فكرة الوحدة العربية في حوالي نصف قرن من الزمان ، على الصعيدين الشعبي والرسمي ، وفي صيغ واشكال مختلفة من الاتفاقات والدعوات الفكرية والعقائدية والحزبية ، ليكون هذا العرض خلفية تاريخية لفكرة الوحدة التي يحدد الاستاذ الشقيري في مشروعه خطوطها الرئيسية .

كما اننا ننشر ، في خاتمة البحث ، نص الرسالة التي وجهها الاستاذ الشقيري الى شعب فلسطين والامة العربية بمناسبة الذكرى الخمسين لوعد بلفور، وقد بيّن فيها مسؤولية التجزئة كسبب رئيسي لنكسة ١٩٦٧ واهمية قيام دولة عربية موحدة للتغلب على هذه النكسة وعلى نكسات فلسطين ونكباتها الاخرى .

وان منظمة التحرير الفلسطينية ، اذ تنطلق في هذه المرحلة الحاسمة في التاريخ العربي بشعار « الدولة العربية المتحدة » ، انما هي تعبّر عن آمال الامة العربية ، وشعب فلسطين بشكل خاص ، لتحقيق هدف لا بد له من ان يؤدي ، بدوره ، الى تحرير فلسطين .

انيس صايغ
المدير العام لمركز الابحاث

مُقَدِّمَة

عرض تاريخي لفكرة الوحدة العربية

تحتل دعوة الوحدة مكان الصدارة في الوجدان العربي الحديث. وتشكل بالتالي احدى الدعامات الرئيسية التي قامت عليها الحركة القومية العربية، الى جانب الكفاح في سبيل التحرر والاستقلال. ولا غرو فقد جاءت اليقظة العربية الحديثة موازية لمرحلة احتكاك العرب بالعالم الغربي وتفاعلهم مع التيارات الثقافية الغربية التي اشتدت صلتهم بها منذ مطلع القرن التاسع عشر. وكان استمرار الثقافة العربية عن طريق اللغة العربية والاعتزاز بتراث الماضي بمثابة الخميرة التي ايقظت الشعور القومي العربي، ومن العوامل الفعالة في نمو ذلك الشعور وتبلوره. اما التحدي الكبير الذي نشأ عن التصادم مع الغرب فقد برز على صورة الاستعمار الاوروبي بفتوحاته العسكرية ومصالحه الاقتصادية والاطارات السياسية التي اختارها لتنفيذ مخططاته وتحقيق غاياته ومراميه البعيدة. فكانت الاستجابة العربية لذلك التحدي بداية مرحلة الكفاح في سبيل التحرر والوحدة التي بلغت ذروتها التاريخية في نيل الاستقلال وتسلم مقدرات البلاد.

وهكذا واجهت دعوة الوحدة التي تجسدت في التيار الوحدوي للحركة العربية الحديثة العقبة الرئيسية في طريقها عندما تمكن الاستعمار من شل الاطار الجامع للمرامي السياسية والثقافية. ففرس

بذور التجزئة وشجع قيام الوحدات السياسية المنعزلة تحت ستار اقتسام مناطق النفوذ . وقام بتثبيت الاتجاهات الاقليمية في الوطن العربي عن طريق استرضاء الاسر الحاكمة ومكافأة العائلات الطامعة بالسلطة، او من قبيل التظاهر بمنح الاقليات الدينية حقوقها السياسية وتشجيعها على الانصراف الى التحرر الذاتي داخل الكيانات والحواجز التي اوجدها لها واقامها . مما اضفى الطابع الاقليمي على النضال السياسي العربي وساهم بدوره في انشغال الطاقات العربية عن قضية الوحدة وترسيخ عوامل التفرقة والتشديد على الولاءات الضيقة .

ومما لا شك فيه ان استمرار الامبراطورية العثمانية الموحدة حتى نهاية الحرب العالمية الاولى وانصراف الحكام الى انقاذ مصير الامبراطورية ، عن طريق الاصلاحات والتنظيمات في اجهزة الادارة والحكم ، ترك اثرا مزدوجا في نفوس الرعايا العرب آنذاك : فقد ادى الى جعل التعبير عن الدعوة الوحدوية في الفكر السياسي العربي يتخذ نهج النزعة الدينية التي تبلورت على صورة الدعوة الى الجامعة الاسلامية العثمانية، ويؤجل بالتالي كل تركيز فعلي على تجسيد الوعي العربي في اطار الوحدة القومية . غير انه ، من جهة ثانية ، نبّه المثقفين العرب ــ بعد مجيء رجالات تركيه الفتاة وفشل المحاولات الرامية الى اعلاء شأن الاخاء العربي العثماني وتنسيق الجهود العملية مع جماعة الاتحاد والترقي وعدم اقتناع الدولة العلية بضرورة تحقيق اللامركزية في الادارة والحكم ــ الى حتمية السير في طريق التحرر والاستقلال القومي. وهكذا انصرفت الجمعيات السرية العربية الى وضع برامجها السياسية وتكتيل الضباط العرب في الجيش التركي والمطالبة بالحكم الذاتي من خلال التشديد على منع الدول الاوروبية من التدخل في شؤون العرب والوقوف بوجه مطامعها الاستعمارية . ووجد الاستعمار الغربي منفذا جديدا الى الوطن العربي عندما ادرك القيمون على تحركاته اهمية

استغلال النقمة والسخط لدى العرب فسارعوا الى تقديم خدماتهم في سبيل التحرر من السيادة العثمانية . فكان تبادل المراسلات وتناثرت الوعود وبرز العطف على قيام ثورة عربية . بيد ان الوطنيين العرب اصروا على الضمانات بشأن استقلال الاقطار العربية وخيل الى بعضهم ان صداقة الغرب والتحالف معه سوف تؤتى ثمارها بعد نهاية الحرب وانتصار الثورة فيتم التحرر والاستقلال وتتحقق الوحدة الملازمة لهما.

غير ان الاستعمار كان يعد العدة لخريطة مدروسة ومفصلة لكي « يكافىء » بها حلفاءه العرب غداة انتهاء الحرب . ولقد وجد نفسه منذ البداية متحالفا مع الدعوة الصهيونية ، حين رأى فيها صورة اخرى لمطامعه ومصالحه . فسارع الى ارساء دعائم المؤامرة على فلسطين ضاربا عرض الحائط بمشاعر الشعب العربي الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره بنفسه . واصدر « وعده » الذي فضح نواياه اذ اظهره بمثابة الطرف الذي يغدق وعوده وعطفه فيمنح بلادا ليست ملكه لتكون قاعدة لوطن قومي ينتقل اليه طرف ثالث تمثله الحركة الصهيونية المتواطئة مع غايات الاستعمار واساليبه المعهودة . ثم قام باستنباط فكرة الحماية وانتدب نفسه وصيا على مقدرات البلاد ، فلم يفته الحصول على موافقة عصبة الامم آنذاك . وراح يطلق العنان لحديث المناداة بحق الشعوب في تقرير مصيرها ، بينما كانت يداه توقع على شتى الوعود والصكوك التي ابطلت وجود الشعوب واعترفت بحق الاستعمار وحده في تقرير ما يتعلق بمستقبلها ومستقبل بلادها . وهكذا خرج العرب من ربقة الحكم العثماني ليجدوا انفسهم بين عشية وضحاها داخل الطوق الذي احكمه حولهم الاستعمار الغربي ووسط التجزئة السياسية التي انتدب نفسه لاصطناعها وترسيخ دعائمها .

واصبحت قضية فلسطين محك الشعور القومي العربي وامتحان

اصالته ونزوعه الشديد نحو التحرر والوحدة . فالاستعمار الصهيوني تكشف عن تحديه للاماني العربية وبرز كحلقة متممة لسلسلة التعديات الغربية على الوطن العربي . ومن هنا – من معطيات التجزئة والانعزال – وجدت حركة الوحدة العربية نفسها مقسمة على كيانات سياسية اقليمية مصطنعة . فكان على النضال السياسي ان يتجه صوب التحرر الذاتي والاستقلال فينشغل بالتالي عن قضية الوحدة ويبقى اسير الغايات الاقليمية الضيقة . غير ان الشعور الوحدوي رفض التسليم بالامر الواقع والاختناق داخل الحواجز التي اقيمت بقصد التفرقة واقتسام النفوذ وعلى امل القضاء على امانيه وآماله . وهكذا خرج الى ميدان الحياة جيل عربي جديد يعيش على صعيدين تفصل بينهما تلك المسافة بين المثال الاعلى والواقع الراهن . وبدت الكيانات والدول القائمة بمثابة العقبات التي اخذت تزداد ترسخا لتقف حائلا دون تحقيق مطلبي الوحدة والتحرر . فكان من جراء بروز تلك الهوة التي قامت لكي تتحطم المشاعر على صخرتها ان تبلورت مقومات الاتجاه الجديد داخل الفكرة القومية وفي التيار الوحدوي الذي استمد زخما جديدا من روافد البلدان العربية التي نالت استقلالها ووطدت دعائمه . واصبحت السمة الغالبة في هذا الاتجاه حديث «التعاون» و «التقارب» و « التكتل » . وكانت الاتفاقيات والمعاهدات الثنائية والمؤتمرات خلال الثلاثينات وفي فترة ما بين الحربين العالميتين . ولم يقف الاستعمار الاجنبي مكتوف الايدي حيال ذلك . بل اخذ على عاتقه « مسؤولية » تشجيع المحاولات الوحدوية والاتحادية طالما شاء لها واضعوها ان تتخذ الشكل الذي يحافظ على مصالحه ويبقي على نفوذه . فجرى تعديلها بوحي منه وتقديمها وتأخيرها بناء على رغباته واوامره التي عرفت كيف تستفيد من الظروف المعينة والاوضاع الداخلية الراهنة .

ولا بد لنا في هذا المجال من استعراض المحاولات والخطط التي يقدر لها من حين الى آخر من يسارع الى نفض الغبار عنها واحيائها من جديد . ثم ننتقل منها الى ظهور الجامعة العربية بعد توقيع بروتوكول الاسكندرية . ونتوقف عند منعطف كارثة فلسطين عام ١٩٤٨ لكي نتابع التحول الجديد الذي طرأ على دعوة الوحدة العربية ونستعرض انطلاقا منه الطابع الثوري الذي اكتسبه الاتجاه نحو التكتل العربي فانعكس بدوره على واقع النضال العربي في الخمسينات ، وتجسد في تجارب الوحدة او الاتحاد التي شهدها العالم العربي منذ ذلك الحين . وليس استعراضنا التالي مجرد سجل للاحداث والمحاولات والتجارب ، بل نهدف الى اعتباره مرتكزا ومنطلقا لاستخراج العبرة التاريخية وتقييم الاتجاه الوحدوي او الاتحادي في ضوء النكسة الاخيرة ، بعد ما يقارب عشرين عاما من كارثة ١٩٤٨ . ومما لا شك فيه ان دعوة الوحدة او الاتحاد قد اكتسبت بعد الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ الحاحا اشد وتحديا مصيريا يتطلب الاستجابة السريعة والحاسمة . وجدير بنا ان نتذكر في هذا المقام مغزى الوحدة العربية بالنسبة لقضية فلسطين والاحتلال الصهيوني فنعيد على مسامعنا ما كتبه نجيب عازوري في « يقظة الامة العربية » عام ١٩٠٥ ، حيث قال:

« هنالك حادثان هامان من طبيعة واحدة ولكنهما متعارضان . وهما يقظة الامة العربية والجهد الخفي لانشاء ملك اسرائيل القديم من جديد وعلى مقياس اوسع . ان مصير هاتين الحركتين القتال باستمرار الى ان تغلب احداهما الاخرى . ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع » .

اخذت اتجاهات التكتل والتقارب بين الكيانات السياسية التي اوجدها الانتداب تبرز الى حيز الوجود منذ ان استطاع الانتداب الفرنسي تفشيل الامير فيصل بن الحسين في الاحتفاظ بالدولة العربية السورية المستقلة . وتزعمت الاسرة الهاشمية تلك المحاولات الرامية الى تحقيق شكل من اشكال الوحدة العربية تحت لوائها . فقام العراق بعقد اتفاق مع المملكة العربية السعودية في ٢٢ شباط (فبراير) ١٩٣٠ على امل التوصل الى حلف يضم شرقي الاردن والحجاز ونجد . وكان الاتفاق المذكور كناية عن مصالحة بين الاسرتين الهاشمية والسعودية. وشهد العام التالي (١٩٣١) حديثا متزايدا عن الاتحاد بين سوريه والعراق وتنصيب فيصل ملكا على سوريه . بينما تصور الكثيرون ان الدولة المنشودة يجب ان تضم سوريه والعراق وفلسطين وشرق الاردن على ان يعترف العراق باستقلال لبنان . وفي الثالث عشر من كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣١ اجتمع المؤتمر العربي القومي في القدس واصدر ميثاقه الذي نص على اعتبار « البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ وكل ما طرأ عليها من انواع التجزئة لا نقره ولا نعترف به » . ثم دعا الى توجيه الجهود في جميع الاقطار العربية « وجهة واحدة هي استقلالها التام كاملة موحدة ومقاومة كل فكرة ترمي الى الاقتصار على العمل للسياسات المحلية والاقليمية » .

وبرز فريق من المفكرين المصريين الذين اعتنقوا الدعوة الفرعونية كأساس للقومية المصرية . فنادوا بزعامة مصر في النهضة القومية العربية شريطة ان يقتصر نطاق الوحدة المنشودة على مجالات تتناول البرامج التعليمية وتسهيل التبادل الثقافي . ولم ينكر هؤلاء فائدة التعاون الاقتصادي او التحالف العسكري . بل اعربوا عن رفضهم للوحدة السياسية في شكلها الامبراطوري والفدرالي . وقامت في

مصر احزاب وحركات عملت للفكرة العربية . فكان حزب مصر الفتاة الذي اسسه احمد حسين عام ١٩٣٧ ، وكانت جمعية الشبان المسلمين التي يعود تاريخها الى ١٩٢٧ . وانتشرت فروعها في كل من العراق وسوريه وفلسطين .

وحفلت الثلاثينات بشتى انواع التحالفات والمعاهدات التي ميزت التقارب العربي في فترة ما بين الحربين . فجرى عام ١٩٣٤ عقد معاهدة صداقة واخوة عربية بين المملكة العربية السعودية واليمن ، ومعاهدة اخوة عربية بين السعودية والعراق (١٩٣٦) ومعاهدة صداقة بين مصر والسعودية (١٩٣٦) . واستمر السياسيون العراقيون والسوريون والفلسطينيون في العمل على تكوين الدولة العربية الكبرى . ومع اشتداد حدة المقاومة العربية في فلسطين للخطر الصهيوني اخذ الوعي القومي العربي يشتد ويتبلور . فكان اجتماع القدس في ١٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢ الذي حضره ممثلون عن الاقطار العربية وتم فيه تأسيس « الشركة العربية لانقاذ اراضي فلسطين » . واستأثرت فكرة عقد الاجتماعات الدورية بقصد تبادل المشورة والرأي. فانعقد اجتماع بلودان (مؤتمر بلودان) في ١٢ ايلول (سبتمبر)١٩٣٧ واعلن ان فلسطين جزء لايتجزأ من الارض العربية ثم طالب بوقف الهجرة الصهيونية اليها . وبدأ البحث عن عوامل التقارب في حقول الاقتصاد والثقافة والاجتماع . فكثر انصار فكرة التدرج بتحقيق الدولة الاتحادية العربية على ان تنحصر المرحلة الاولى في عقد اتفاقات اقتصادية . ومع بداية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩) كانت حركة تحقيق الوحدة العربية تعمل بنشاط بارز وتقدم ملموس . ومن الملاحظ ان الحركة كان يتنازعها اتجاهان : الاول يدعو الى استكمال المحالفات الثنائية للوصول الى نظام اتحادي « فيدرالي » . والثاني

يرى في سلوك سبيل التعاون الثقافي والاقتصادي طريقا يؤدي الى انشاء هيئة او منظمة اقليمية تضم الدول العربية المستقلة .

وفي ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ طلع نوري السعيد في «كتابه الازرق » الى المستر كيسى ، وزير الدولة البريطاني في القاهرة ، بمحاولة تحوي الخطوط العريضة لمشروع وحدة بلدان الهلال الخصيب (مشروع الهلال الخصيب) . ورأى ان يتم التنفيذ على مرحلتين : تنحصر اولاها بتكوين دولة واحدة من سوريه ولبنان وفلسطين وشرقي الاردن (سوريه الكبرى) ، وتأتي المرحلة الثانية بتكوين وحدة عربية من دولتي سوريه الكبرى والعراق . ودعا الى منح اليهود ادارة شبه ذاتية . وقد حظي المشروع بمقاومة كل من مصر والسعودية وسوريه ولبنان ، بالاضافة الى عطف بريطانيه ورضاها .

وتقدم الامير عبدالله الهاشمي عام ١٩٤٣ بمذكرة سياسية الى الحكومة البريطانية لحل المسألة السورية بشكل خاص والقضية العربية عامة عن طريق تنفيذ واحد من المشروعين التاليين ، فعرف مشروعه منذ ذلك الحين ب « مشروع سوريه الكبرى » : فدعا الى تحقيق الوحدة السورية (الدولة السورية الموحدة) والاتحاد العربي ، مطالبا بريطانيه الاعتراف باستقلال الدولة السورية الموحدة التي تضم سوريه الشمالية وشرقي الاردن وفلسطين ولبنان ، مع اعطاء ادارة خاصة لكل من لبنان القديم وفلسطين لحفظ حقوق الاقلية اليهودية والغاء وعد بلفور . واعد نفسه للقيام على رأس الدولة . ثم يصار الى اعلان تأسيس اتحاد عربي يضم سوريه والعراق . ولا مانع عند ذلك من انضمام الدول العربية الاخرى الى الاتحاد . اما المشروع البديل فكان يقضي بانشاء الدولة السورية الاتحادية والاتحاد العربي . فتقوم

في سوريه الطبيعية دولة اتحادية مركزية تضم شرقي الاردن وسوريه الشمالية ولبنان وفلسطين . وتصبح دمشق عاصمة الدولة والامير عبدالله رئيسها . بينما وقف السوريون يؤكدون انهم يعتبرون الاردن جزءا من سوريه لانه كان مجرد قائمقامية تابعة لولاية سوريه العثمانية قبل ١٩١٤ ـ ١٩١٨ . والمنطق يقضي بعودة الامور الى مجراها الطبيعي . وليس هناك بالتالي كبير فرق بين الدعوتين الهاشميتين اذ يجمع بينهما المصدر الواحد .

لكن المشروعات الهاشمية وجدت نفسها امام مشروع « مضاد » ظهر الى حيز الوجود على صورة جامعة الدول العربية والتقى مع الاتجاه البريطاني الرامي الى تأييد التكتل العربي . فكان ميثاق الجامعة الذي اصبح ساري المفعول منذ ١٠ ايار (مايو) ١٩٤٥ ، بعد ان سبقه بروتوكول الاسكندرية (٧ تشرين الاول ، اكتوبر ، ١٩٤٤) في اعداد قرارات اللجنة التحضيرية . وتألفت جامعة الدول العربية ومجلسها على اساس احترام استقلال الدولة المشتركة وسيادتها « على قدم المساواة » ، وعقد الاجتماعات الدورية لتوثيق الصلات وتنسيق الخطط في سبيل التعاون والمساعدة المتبادلة . فقامت « استجابة للرأي العربي العام في جميع الاقطار العربية» ، لكنها جعلت التعاون الاختياري بين الدول العربية الاعضاء رائدها ومبرر وجودها على الصعيد العملي . وجاءت الفقرة الثانية من بروتوكول الاسكندرية لتنص على التعاون في شتى المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية . وكان الميثاق تكريسا للسيادات الاقليمية وتعهدا باحترام « نظام الحكم القائم في دول الجامعة الاخرى » ، على ان يبقى المجال مفتوحا امام الدول « الراغبة فيما بينها في تعاون اوثق وروابط اقوى مما نص عليه في هذا الميثاق » ، لكي « تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق هذه الاغراض » .

وسارع مجلس الجامعة الى اقرار المعاهدة الثقافية بين الدول العربية التي وقعت على الميثاق . فجرى عقد المؤتمر الثقافي الاول في بيتمري (لبنان) عام ١٩٤٧ ، وتبعه المؤتمر الاثري العربي الاول في دمشق ١٩٤٧ . وكانت نكبة فلسطين ١٩٤٨ بمثابة الامتحان الحاسم الذي أظهر تخلف الاطار السياسي والدفاعي للجامعة وتقصير دولها الاعضاء في مجاراة الوعي العربي الذي سبق السياسة باشواط وخلّفها وراءه غارقة في خضم التصريحات والتعهدات والمباريات الخطابية .

وافاقت الدول الاعضاء على كارثة فلسطين لتسمع العالم كله يستهجن خسارتها الجولة امام الصهيونية وهي التي يبلغ عددها السبع دول . فلم يدر بخلد الذين وضعوا الميثاق ووقعوه ان الخسارة مردها الرئيسي الى كونها سبع دول بدلا من دولة متحدة واحدة ! وبدأت الناحية العسكرية والدفاعية تستأثر باهتمام دول الجامعة ، فكانت « معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي » التي وقعها مندوبو سوريه والمملكة العربية السعودية ولبنان ومصر والمملكة المتوكلية اليمنية في حزيران (يونيو) ١٩٥٠ . والتزمت الدول الموقعة على المعاهدة بالمبادرة الى مساعدة الدولة او الدول التي تتعرض للاعتداء . ثم نصت المعاهدة على تأليف « لجنة عسكرية دائمة من ممثلي هيئة اركان حرب جيوش الدول المتعاقدة لتنظيم خطط الدفاع المشترك وتهيئة وسائله واساليبه » وعلى انشاء مجلس للدفاع المشترك يخضع لاشراف مجلس الجامعة ويتألف من « وزراء الخارجية والدفاع الوطني للدول المتعاقدة او من ينوبون عنهم » . كما نصت المادة الثامنة على انشاء مجلس اقتصادي يضم وزراء الاقتصاد في الدول المتعاقدة او من ينوب عنهم . واحتاج تصديق برلمانات الدول الاعضاء على المعاهدة المذكورة مدة تعدت السنتين . فوقع العراق في الثاني من

شباط (فبراير) ١٩٥١ ولم تصبح سارية المفعول الا في شهر آب (اغسطس) ١٩٥٢ ، عندما كانت دول الجامعة لا تزيد عن السبع . ولم تتردد بعض الدول في ابداء شتى التحفظات والاجتهادات .

وفي عام ١٩٥١ تقدم الدكتور ناظم القدسي ، رئيس وزراء سوريه آنذاك ، بمذكرة الى الامانة العامة لجامعة الدول العربية جاء فيها :

« نرى لزاما اقتراح مشروع عملي يشمل الدول العربية جميعا ، ويكفل التوحيد في السياسة الخارجية وفي الدفاع القومي والاقتصادي والمرافق الرئيسية ويكون بنظر الرأي العام العربي وبنظر الكتل العالمية موضع اهتمام وامل او خشية » .

واعلن ان « الوعي يسبق السياسة في العالم العربي » ، فصرّح بتفضيله وترجيحه للوحدة العربية الجديدة على الشكل التالي :

« قيام الدولة المتحدة العربية وهي المثل الاعلى لكل عربي وقد اثبتت حوادث القرنين الماضيين صلاحه وتأثيره في امم اوروبه واميركه ، وهو ليس بدعا في تاريخ العرب ، فقد كانوا لاثني عشر قرنا دولة واحدة ، وهذه اقوى من الدول المتحدة » .

وفي السابع من ايلول (سبتمبر) ١٩٥٣ وقعت دول الجامعة اتفاقية « بشأن تسهيل التبادل التجاري وتنظيم تجارة الترانزيت » .

غير ان الوعي كان اسبق من السياسة . فلقد تبين ان دول المغرب العربي كانت لا تزال ترزح تحت نير الاستعمار ولا بد من تحريرها وتثبيت استقلالها . وجاء الدستور السوري الصادر في ٥ ايلول (سبتمبر) ١٩٥٠ ليعلن ان الشعب السوري العربي هو « جزء من الامة العربية بتاريخه وحاضره ومستقبله ، يتطلع الى اليوم الذي تجتمع فيه امتنا العربية في دولة واحدة ، وسيعمل جاهدا على تحقيق هذه الامنية المقدسة في ظل الاستقلال والحرية » .

وكانت ثورة الضباط الاحرار بمصر في ٢٣ تموز (يوليو) ١٩٥٢ نقطة تحول حاسم في تطور الفكرة العربية منذ مطلع النصف الثاني من هذا القرن . وجرى اعلان الجمهورية بعد الغاء النظام الملكي في ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٥٣ . وسبق ذلك توقيع الاتفاق بين الحكومتين المصرية والبريطانية بخصوص استقلال السودان وممارسة الشعب السوداني حقه في تقرير المصير ١٢ شباط (فبراير) ١٩٥٣ . ثم جاءت اتفاقية الجلاء البريطاني عن الاراضي المصرية في ١٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٤ . واعلن البرلمان السوداني بان السودان اصبح دولة مستقلة كاملة السيادة (١٩٥٥) . وفي مطلع ١٩٥٦ اعلن الرئيس جمال عبد الناصر مشروع الدستور المصري الذي جاء في مقدمته : « نحن الشعب المصري : الذي يشعر بوجوده متفاعلا في الكيان العربي الكبير ويقدر مسؤولياته والتزاماته حيال النضال العربي المشترك لعزة الامة العربية ومجدها » . ومما جاء في خطابه الذي قدم به مشروع الدستور : « اننا عضو في الكيان العربي الكبير وهذا الشعب يشعر بوجوده متفاعلا في الكيان العربي .. فنحن اليوم حينما نعلن اننا نتفاعل مع الشعوب العربية ، ونعلن اننا جزء من الكيان العربي ، نعلن هذا من اجل مصلحتنا ومن اجل مصلحة العالم العربي كله . ان الكيان

العربي يمتد من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي ، كلنا شعب واحد ... نكافح جميعا متحدين متكاتفين ... نحن نعلن عروبتنا الحقيقية ونعلن تماسكنا مع العرب جميعا حتى لا يتكرر ما مضى . وحتى لا يتكرر ما فات .. لقد ضاعت قطعة من ارضنا ، لقد محيت قومية العروبة في فلسطين .. لاننا انخدعنا ولاننا اتبعنا الاستعمار وتبعنا اعوان الاستعمار » .. وهكذا نصت المادة الاولى من الدستور على ما يلي :

« مصر دولة عربية مستقلة ذات سيادة وهي جمهورية ديمقراطية والشعب المصري جزء من الامة العربية » .

ومضت الثورة المصرية لتوجه اقسى الضربات العربية للاستعمار في اصدارها القانون بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية في ٢٦ تموز (يوليو) ١٩٥٦ . وسرعان ما تنبه الاستعمار بوجهيه الغربي والصهيوني الى اشتداد ساعد العرب وسيرهم الوطيد في طريق التحرر والوحدة ، فكان العدوان الثلاثي على سيناء في التاسع والعشرين من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٥٦ . وتبعه خروج المعتدين وانسحابهم وتوطيد السيادة المصرية العربية على قناة السويس والشروع في تنفيذ السد العالي وتحقيق سائر الاصلاحات الثورية في مصر . وهكذا تكرست عروبة الثورة المصرية وبرز سعيها الحق في سبيل الوحدة العربية الكبرى .

وجاءت سياسة الدعوة الى الاحلاف المشبوهة في منتصف الخمسينات (حلف بغداد) بمثابة عامل اخر في شحذ الوعي القومي العربي وارساء دعائم قواعده الشعبية الجماهيرية . فراحت سوريه

تسعى منذ ١٩٥٤ الى تحقيق نواة الوحدة العربية المنشودة . وجرى توقيع البيان المصري السوري المشترك في ٢ اذار (مارس) ١٩٥٥ ليعلن اتفاق الحكومتين على « عدم الانضمام الى الحلف التركي العراقي او اية احلاف اخرى » و « اقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادي عربي مشترك يرتكز على المسائل التالية : (١) الالتزام بالاشتراك في صد اي عدوان يقع على احدى دول المنظمة ، (٢) انشاء قيادة مشتركة دائمة لها مقر رئيسي ، و (٣) عدم قيام اية دولة مشتركة في المنظمة بعقد اتفاقات دولية او عسكرية او سياسية بدون موافقة بقية اعضاء المنظمة » .

وقد عقد « مؤتمر الخريجين الدائم لقضايا الوطن العربي » دورته في القدس ، ايلول (سبتمبر) ١٩٥٥ ، فتقدم بخطة جديدة نحو الوحدة ـ مشروع دولة الاتحاد العربي ـ التي اقامها على الاسس التالية :

(١) جيش عربي موحد وسياسة عربية خارجية موحدة ومستقلة تقوم على الحياد ورفض الاحلاف العسكرية والاجنبية ، واقتصاد عربي موحد .

(٢) تعطي الحكومات العربية اختصاصاتها في الامور المذكورة اعلاه لادارة عربية موحدة تمثل فيها الدولة العربية .

وفي عام ١٩٥٦ اتم المكتب الدائم للمؤتمر « الدستور العربي الاتحادي » واطلق على الدولة العربية المزمع تأسيسها تسمية « دولة الاتحاد العربي » .

وظهر « مبدأ ايزنهاور » الرامي الى « ملء الفراغ الذي يشغر »

بخروج الاستعمار من بعض قواعده في الوطن العربي . فقبله بعض الساسة المحسوبين على الغرب قبل ان يتم اعلانه رسميا . وكان مصيره الرفض التام . وتحققت الاماني القومية العربية عندما قامت الوحدة بين مصر وسوريه في شباط (فبراير) ١٩٥٨ وخرجت الجمهورية العربية المتحدة الى حيز الوجود العربي الحديث . وفي الثامن من اذار (مارس) ١٩٥٨ تم توقيع ميثاق انشاء « اتحاد الدول العربية المتحدة » بين الجمهورية العربية المتحدة من جهة والمملكة المتوكلية اليمنية من جهة ثانية .

ثم اصيبت الحركة القومية العربية بنكسة لا تزال تحصد اثارها الى اليوم عندما قامت حركة القطيعة والانفصال في الثامن والعشرين من ايلول (سبتمبر) ١٩٦١ . وعلى الرغم من الثورة العراقية في ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ واعلان الجمهورية ، فان العراق الذي انسحب على الفور من « الاتحاد العربي » بين ملكي الاردن والعراق ١٤ شباط (فبراير) ١٩٥٨ والذي جاء كرد فعل لقيام الوحدة بين مصر وسوريه ، عزل نفسه عن حركة الوحدة حتى حدوث الثورة على حكم عبد الكريم قاسم في الثامن من شباط (فبراير) ١٩٦٣ . وما هي الا اسابيع معدودة حتى كانت الثورة البعثية في سوريه ٨ اذار (مارس) ١٩٦٣ تطيح بالانفصاليين وتستأنف الحوار الوحدوي باسلوب جديد وقديم في آن واحد .

فكانت اجتماعات القاهرة ومحادثات الوحدة بين ١٤ اذار (مارس) و ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٦٣ بين كل من الجمهورية العربية المتحدة وسوريه والعراق بغية الوصول الى اتفاق على وضع صيغة لميثاق الاتحاد الثلاثي الجديد . وهكذا صدر ميثاق الوحدة الاتحادية الثلاثية

في السابع عشر من نيسان (ابريل) ١٩٦٣ . وجاءت احداث الثامن من تموز (يوليو) في سوريه من العام نفسه لتحول دون قيام الاتحاد المنشود .

وجدير بالذكر ان مجلس الدفاع العربي المشترك كان قد علق اجتماعاته منذ ١٩٥٤ ولم يستأنفها الا في العاشر من حزيران (يونيو) ١٩٦١ . وجاء اقدام اسرائيل للاستيلاء على مياه نهر الاردن واستغلالها في المشاريع الاستيطانية والاستعمارية في صحراء النقب بمثابة ناقوس الخطر الجديد الذي حدا بالرئيس جمال عبد الناصر لتوجيه دعوته الى عقد مؤتمر القمة الاول في القاهرة في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤ . فبرزت فكرة القيادة العربية الموحدة واعلن الامين العام قيامها بصورة رسمية في السابع عشر من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤ تحت اشراف مجلس الدفاع الاعلى . ثم تحددت اهدافها على الشكل التالي : « تنظيم وتنسيق التعاون بين الجيوش العربية على اساس موحد » بالاضافة الى وضع اهداف القوة والتسلح ورسم الخطط لمواجهة المواقف الطارئة ووضع برامج تكفل بمساعدة الدول العربية المتاخمة لاسرائيل على استكمال استعداداتها العسكرية والدفاعية لمواجهة اي عدوان . وجرى التمهيد لقيام منظمة التحرير الفلسطينية .

وفي نهاية المؤتمر الثاني للقمة في ايلول (سبتمبر) ١٩٦٤ وقعت كل من الجزائر والسودان وليبيه وتونس على معاهدة الدفاع العربي المشترك . وقد يضيق المجال هنا عن تعداد واستعراض جميع اتفاقيات الدفاع الثنائية التي تتبادلها الدول العربية منذ عام ١٩٤٩ . فجميع تلك المعاهدات والاتفاقات قد فشلت في اجتياز الامتحان الفعلي وتحقيق الغاية او الغايات المرجوة منها . وقد علمتنا النكسة الاخيرة

في الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ماذا يعني التباطؤ في تنفيذ نصوص اتفاقات من هذا النوع او التهرب من القيام بشتى الالتزامات التي تنص عليها . ومعظم تلك الاتفاقات قد مضى عليها اكثر من عشر سنوات ، بينما القسم المتعلق باستكمال الاستعدادات العسكرية يرجع في الغالب الى مؤتمر القمة الاول . ولا يخفى ما لقضية الوحدة العربية على الصعيد العسكري والاقتصادي والسياسي من اهمية بالغة في جعل معاهدات الدفاع العربي المشترك تتحول الى دفاع مشترك وموحد بالفعل، يقوم به جيش عربي موحد تحت اشراف قيادة واحدة . ولقد آن الاوان للبحث عن شكل فعال ومثمر للتعاون العربي على صعيد الوحدة الحقيقية التي لا تقف على عتبة «التقارب» و «التكتل» و «تبادل المشورة» و«الشعور الاخوي»، بل تتعدى تلك الصيغ الجوفاء وتنفض عنها الترهل والجعجعة لتواجه مصيرها العربي الواحد ومعركتها الحاسمة بكل عزم وتصميم واستعداد فعلي لتحرير الوطن العربي واستعادة فلسطين كجزء لا يتجزأ من الوطن العربي الواحد . فالاستعمار يتحدى العرب في عقر دارهم ويتهددهم في كل لحظة بابتلاع المزيد من ارضهم وديارهم . وما على رجال السياسة والحكام العرب الا مسايرة الوعي الشعبي الذي تخطى الاشكال القديمة وراح يطلب منهم الاستجابة لمنطق الوحدة العملية الجديدة على اسس اكثر فعالية وابعد مدى . فالوحدة والتحرر هما المنطلق الاساسي للوجدان العربي الحديث وبدونهما سوف تبقى النهضة العربية الحديثة اسيرة كيانات مصطنعة وقوالب اقليمية جاء بها الاجنبي وزرعها في وسطنا . وها هي تنتظر ان يذهب بها الشعب .

وان كان الشعب قد سكت عن تهاون المسؤولين وترددهم بموضوع الوحدة قبل الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وان كان

الضمير العربي سكت ، او أسكت ، عن بقاء التجزئة ، عن ملاينة ومهادنة لا عن اقتناع ورضى ، فان مثل هذا التهادن والسكوت لن يكون لـه ادنى مبرر ولا حجة بعد عدوان اسرائيل الاخير الذي انما دل ، قبل كل شيء ، على ان التجزئة هي السبب الرئيسي للنكسة ، وعلـى ان الوحدة هي الخطوة الاولى التي لا بد منها ، نحو ازالة الكيان المغتصب الدخيل .

« الدولة العربية المتحدة » الموجودة في الضمير العربي منـذ سنين ، هي الشعار الذي تطلقه منظمة التحرير الفلسطينية الى شعب فلسطين ، والى الامة العربية جمعاء ، شعارا ينبع من صميم ايمـان المنظمة وعزمها على محو العار واستعادة الحق ، الذي هو في الواقع ايمان الامة وعزمها الاكيد .

مشروع الدولة الاتحادية

(المبادىء الاساسية)

مشروع الدولة الاتحادية
(المبادىء الاساسية)

ان قيام دولة اتحادية يتطلب وضع وثيقة دستورية تحدد بصورة تفصيلية طبيعة الاتحاد واختصاصات الدولة الاتحادية ومؤسساتها المختلفة ، وعلاقة الدولة الاتحادية بالاقطار التي يتألف منها الاتحاد . ولكن هذه المرحلة يجب ان يسبقها اتفاق من حيث المبدأ على الاسس العامة لمشروع الاتحاد ، وتلخص هذه المذكرة المبادىء الاساسية للدولة العربية المقترحة فيما يلي : ــ

١ ــ تنشأ دولة اتحادية تعرف باسم الدولة العربية المتحدة ، وتتألف من الاقطار العربية الآتية : ــ
( )

٢ ــ **الدولة العربية المتحدة هي وحدها التي تملك السيادة الدولية الكاملة .**

٣ ــ لكل دولة عربية مستقلة تؤمن بالمصير الواحد للامة العربية وبضرورة المبادرة الفورية لتحقيق الوحدة العربية ان تنضم الى الدولة العربية المتحدة ، ويكون قبولها بقرار يصدر بأكثرية الثلثين من مجلس الامة العربية المتحدة ، المنعقد بهيئته الكاملة .

٤ ــ ليس لأي قطر من الاقطار ، التي تتألف منها الدولــة العربية المتحدة ، ان تنسحب من الدولة العربية المتحدة ، الا بعد القيام باستفتاء عام حر للمواطنين في ذلك القطر .

٥ ــ **يتمتع بالجنسية العربية للدولة العربية المتحدة جميع المواطنين**

الذين يتمتعون بجنسيات الاقطار التي تتألف منها الدولة العربية المتحدة .

٦ ــ تباشر الدولة العربية المتحدة الاختصاصات الآتية : ــ

أ ــ السياسة الخارجية ، ويدخل في ذلك التمثيل الخارجي ، وشؤون الامم المتحدة ، والمنظمات الدولية ، والمعاهدات مع الدول الاجنبية .

ب ــ الدفاع والامن القومي ، ويشمل ذلك انشاء قيادة عسكرية واحدة لجميع القوات المسلحة وشؤون التعبئة العامة وكذلك الامور المتعلقة بالصناعات الحربية .

جـ ــ البحث العلمي وامور الطاقة النووية .

د ــ المالية والخزانة ، وتتضمن الضرائب الاتحادية ، وميزانية الاتحاد ، والقوانين الجمركية .

هـ ــ الاقتصاد والتخطيط الاقتصادي والتنمية .

و ــ التعليم بكل مراحله ، والثقافة العامة .

ز ــ الاعلام والارشاد القومي .

ح ــ العدل وتنسيق القوانين .

ط ــ المواصلات الاتحادية .

٧ ــ ينشأ في الدولة العربية المتحدة مجلس امة ويكون هو صاحب السلطة العليا في الدولة .

٨ ــ يتألف مجلس الامة من هيئتين :

أ ــ مجلس النواب وينتخب انتخابا حرا مباشرا على اساس

نسبة عدد السكان في كل قطر .

ب ــ مجلس الاتحاد وينتخب انتخابا حرا مباشرا ، ويتكون من عدد متساو من الاعضاء في كل قطر ، ويكون عددهم نصف عدد اعضاء مجلس النواب .

٩ ــ رئيس الدولة للدولة العربية المتحدة ينتخبه مجلس الامة ، وهو يمثل سلطة الدولة ويكون القائد الاعلى للقوات المسلحة .

١٠ ــ يكون رؤساء الاقطار التي تتألف منها الدولة العربية المتحدة نواب رئيس الدولة يعاونونه في النهوض بمسؤولياته .

١١ ــ يكون للدولة العربية المتحدة مجلس وزراء مسؤول امام مجلس الامة ، ويتولى رئيس الوزراء والوزراء مناصبهم ما داموا محل ثقة رئيس الدولة .

١٢ ــ يباشر مجلس الوزراء للدولة العربية المتحدة جميع الاختصاصات الواردة التي تمارسها الدولة الاتحادية .

١٣ ــ مجلس الامة هو الذي يضع دستور الاتحاد ، ويمارس السلطة التشريعية ، ويصدر رئيس الدولة القوانين بعد اقرارها من قبل مجلس الامة .

١٤ ــ تنشأ في الدولة العربية المتحدة محكمة اتحادية عليا ، يحدد اختصاصها وتشكيلها بموجب احكام القانون .

١٥ ــ يكون لكل قطر من الاقطار التي تتألف منها الدولة العربية المتحدة حكومة قطرية ، ويوضع لها دستور خاص بها لا يتعارض مع الدستور الاتحادي .

١٦ ــ ينحصر اختصاص الحكومة القطرية في شؤون القطر ولا تمارس

الاختصاصات التي تملكها الدولة العربية المتحدة .

١٧ ــ رئيس القطر ، هو صاحب السلطة العليا في ذلك القطر حسب الاوضاع القائمة .

١٨ ــ يكون في كل قطر من الاقطار التي تتألف منها الدول العربية المتحدة مجلس وزراء يعينه رئيس القطر ، ومجلس الوزراء مسؤول امام المجلس التشريعي لذلك القطر .

١٩ ــ يكون لكل قطر من الاقطار التي تتألف منها الدولة العربية المتحدة مجلس تشريعي منتخب انتخابا حرا مباشرا .

٢٠ ــ القضاء في كل قطر ينظم وفق احكام الدستور لذلك القطر .

٢١ ــ (مادة انتقالية) الى ان يتم وضع النصوص الدستورية ، والى ان يتم قيام المؤسسات الدستورية للدولة العربية المتحدة ، تبادر فورا الدول العربية الراغبة في الاتحاد الى انشاء مجلس رئاسة مكوّن من رؤساء هذه الدول لتصريف امور الدولة العربية المتحدة في المرحلة الانتقالية .

٢٢ ــ (مادة انتقالية) تبادر الدولة العربية المتحدة ، كواجب اولي عاجل، الى توحيد الجيوش العربية التابعة للاتحاد وتحت قيادة واحدة .

الرسالة التي وجهها الاستاذ احمد الشقيري
رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، الى شعب فلسطين
والامة العربية بمناسبة الذكرى الخمسين لوعد بلفور

نحن اليوم، في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٦٧، انه يوم واحد حقا ، ولكنه يضعنا وجها لوجه امام خمسين عاما طوالا شدادا .

ففي الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩١٧ ، اصدرت الحكومة البريطانية وعدها المشؤوم باقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ، ومنذ ذلك التاريخ ، وشعب فلسطين يقف في هذا اليوم من كل عام امام هذه الذكرى السوداء ، يجدد العهد والايمان ، ويؤكد الثبات والعزم عنيدا في كفاحه صابرا ومثابرا على نضاله .

ولم يكن شعبنا في مثل هذا اليوم ، يقتصر على المؤتمرات الوطنية او المهرجانات الشعبية يعلن فيها عروبة فلسطين واستنكار الاستعمار والصهيونية .

لم يكن يقتصر على الجهود السياسية يحرّك العالمين العربي والاسلامي ، بل لم يقتصر على ارسال الوفود الى الحواضر الدولية يستنكر الباطل ويعلي كلمة الحق . ولكنه كان يخوض غمرات كفاح رهيب يواجه الصهيونية العالمية بكل طاقاتها والاستعمار بكل قدراته وخبراته .

اجل لقد خاض شعبنا كفاحا مريرا من غير تكافؤ ، بيننا وبين

عدونا. خاضه عاما بعد عام بل يوما بعد يوم ، وقاتلنا معركة بعد معركة ومرحلة بعد مرحلة ، وخسرنا ارضنا قرية بعد قرية بل شبرا بعد شبر ، ولكن لم ينكسر ايماننا بالله ولا وهنت ثقتنا بالوطن ، ولا ضعف استمساكنا بالحق .

وفي عهد الانتداب البريطاني منذ ١٩١٨ حتى ١٩٤٨ ، خاضها الشعب خمس عشرة ثورة مسلحة ، حمل اعباءها جماهير الشعب من العمال والفلاحين ، والطلاب والشباب ، والرجال والنساء ، وسقط الشهداء بالآلاف ، ونسفت المدن ، وهدمت القرى ، وغصت السجون والمعتقلات ، واعلنها عصيانا مدنيا واضرابات متواليات ، كان آخرها اضراب الاشهر الستة ، بما لم يشهد التاريخ له مثيلا منذ كان تاريخ النضال .

تلك سيرة كفاح طويل ، في كلام قليل ، لو شئنا ان ننصفه الى آخر مداه لانتهى بنا الى تاريخ جليل ، كل صفحاته آيات بيّنات من ضروب الشجاعة والبطولة .

ولقد شهد عام ١٩٤٨ تقسيم وطننا ، وقيام اسرائيل على ساحله الجميل ، وتشرّد شعبنا ، وانتقل زمام القضية الى الايدي العربية في حقبة امتدت عشرين عاما تخللتها مؤتمرات وانقلابات ، واحداث عربية ودولية ، تدور كلها في فلك قضية فلسطين ، من قريب أو من بعيد .

وها نحن نقف الان امام الذكرى الخمسين للوعد المشؤوم والسؤال

الصارخ ، صارخ في آذاننا ، ماذا نرى ، اين نحن اليوم ، اين نسير ، والى اين المصير ؟

يوم صدر وعد بلفور كان خيالا عريقا في خيال ، لم يصدقه واضعوه . واعتبروه تجربة عابرة ، بل مقامرة مغامرة .

وعد بلفور ، كتب يوم كتب مسربلا بالقيود مكبلا بالشروط ، العطف لفته ، والتمني لهجته ، ولم يكن في فلسطين يومئذ الا خمسون ألف يهودي ، يملكون اثنين في المائة من ارض فلسطين ، ومضت ثلاثون عاما من الانتداب البريطاني حاشدا كل قوته حتى اصبح اليهود في ١٩٤٧ ثلاثة ارباع المليون ، يملكون ستة في المائة من ارض فلسطين ، ومع هذا بقي شعب فلسطين صامدا مرابطا ، لا تلين قناته ، ولا تنثني عزيمته . وجاءت بعد ذلك مرحلة الامم المتحدة فقامت اسرائيل ، واغتصبت ما يزيد على نصف فلسطين ، وشرّدت شعب فلسطين واصبح اليهود يزيدون على مليونين احتلوا مدننا وقرانا ، ومزارعنا ومصانعنا ، واستباحوا معابدنا ومقابرنا وكل مقدساتنا .

ثم جاء العدوان الاسرائيلي الاخير ، فاصبحت فلسطين كلها تحت الاحتلال ، من البحر الى النهر ، وشمل العدوان ارضا عربية غالية ، في مصر وسوريه ، واصبح شعب فلسطين كله بين اسير ومشرد ، وامتدت كارثة النزوح الى ابناء العروبة فاصبحوا يعدّون بالآلاف الآلاف .

هذه هي الصورة بعد خمسين عاما من الصراع في مرحلتين حاسمتين ، الاولى مع شعب فلسطين والثانية مع الامة العربية بأسرها،

صورة واضحة يبدو فيها خطان متوازيان يسيران جنبا الى جنب حتى النكسة الاخيرة ، الاول يجسّد الهزيمة العربية عاما بعد عام والثاني يجسّد الانتصار الصهيوني عاما بعد عام .

وهذان الخطان ما يزالان يسيران بانتظام ، نصر اسرائيلي متلاحق وانكسار عربي متلاحق ، والسؤال الصارخ الثائر ، لماذا كان الانتصار لعدونا ولماذا الانكسار لنا ؟ لماذا تتوالى علينا هذه الكوارث منذ خمسين عاما حتى الان ؟ لماذا اصبحت تجربة وعد بلفور حقيقة ثابتة ؟؟؟ لماذا قام الوطن القومي اليهودي في فلسطين ؟ لماذا تحوّل الوطن القومي اليهودي الى دولة يهودية ، تهدد حاضرنا وتنذر مستقبلنا ؟ لماذا انكسرنا امام اسرائيل في الخامس من حزيران ، ولماذا اصبحنا نواجه هذا البلاء الاكبر يطالعنا كل صباح وكل مساء ؟ .

سؤال كبير على لسان كل عربي ، على لسان ماية مليون عربي ، بل السؤال على لسان الملايين من الشعوب الصديقة ، كلها مثلنا في لهفة وحسرة ، في ذهول ودهشة ، كيف انهزمنا وكيف انتصر عدونا ، وكيف انتصرت اسرائيل المحصورة في الرقعة الصغيرة ، كيف انهزمت الامة العربية في ارضها الرحبة الكبيرة ، عددها مئة مليون ، فيها الثروات المادية والبشرية والروحية ، أمة تملك المواقع الاستراتيجية الهائلة ، تملك شواطىء البحر الابيض وقناة السويس ، والبحر الاحمر والبحر العربي حتى الخليج ، أمة ذات حضارة عريقة ، أمة ذات تاريخ مجيد بالفتح والنصر ، أمة طموحة شجاعة ، أمة حققت الاستقلال لأوطانها بالكفاح والنضال ، امة هذا شأنها وهذا امرها كيف انكسرت وكيف هزمت ؟ .

ولعل الباحث عن الجواب يجد كثيرا من الاسباب ، يسردها ويشرحها ويؤكد اثرها وخطرها ، اسباب امتدت وتراكمت على مدى خمسين عاما ، وحين نرجع بالذاكرة عبر هذه السنين تبرز امامنا هذه الاسباب ، واحدا بعد واحد .

يبرز امامنا اولا : ان الصهيونية ولدت على فراش الاستعمار وترعرعت في احضانه ، غذاها بالمال ودعمها بالسلاح .

يبرز امامنا ثانيا : الخديعة الاستعمارية كما تجلت في المفاوضات العربية البريطانية اثناء الحرب العالمية الاولى .

يبرز امامنا ثالثا : ان الامة العربية لم تكن قد تكامل وعيها ، وقد شنت معارك ضارية في كل اوطانها لترفع الاحتلال وتظفر بالاستقلال .

يبرز امامنا رابعا : دور المانيه الهتلرية على غير ارادتها ، في تصعيد الهجرة اليهودية الى فلسطين .

يبرز امامنا خامسا : انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، وهم ملتزمون بتأييد القضية الصهيونية .

يبرز امامنا سادسا : الاستهتار القومي والخيانة العظمى في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

يبرز امامنا سابعا : ان الكيان الفلسطيني قد تصدع عام ١٩٤٧

وان منظمة التحرير الفلسطينية قد نشأت عام ١٩٦٤ بدلا من عام ١٩٤٨ .

يبرز امامنا ثامنا : ان التجنيد الاجباري لم يطبق على ابناء فلسطين في الاردن وان الضفة الغربية قد بقيت مكشوفة عزلاء وان القرى الامامية كانت من غير تسليح ولا تحصين .

يبرز امامنا تاسعا : ان معاهدة الدفاع المشترك مع الاردن قد تمت قبل العدوان بخمسة ايام ، وان هذه المعاهدة قد تمت مع العراق ليلة العدوان ، وان الجيش العراقي قد دخل الاراضي الاردنية يوم العدوان .

يبرز امامنا عاشرا واخيرا : ان الاعداد الشعبي لم يكن على مستوى الاحداث فان المسارح والملاهي والاندية الاجتماعية في الوطن العربي تفوق اضعافا مضاعفة معسكرات التدريب العسكري .

وتبرز كذلك اسباب فرعية او جانبية الى جانب هذه الاسباب التي وصلت بنا الى هذا اليوم الكريه الذي نعيشه ، الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٦٧ . ولكن سببا واحدا يقع في راس هذه الاسباب ، هو اصل هذه الكوارث والنكبات .. انه السبب الاول والاخير ، عاش معنا في هذه الخمسين عاما ولا يزال يعيش معنا حتى الان .. وسيظل سبب الكوارث والنكبات التي تحل بنا ، ما بقي هذا السبب يعيش معنا ونعيش معه .

ولنرجع الى الماضي لنعرف السبب ، حين صدر وعد بلفور في عام ١٩١٧ كانت بلاد الشام وطنا واحدا وقد تساند الاستعمار والصهيونية على تجزئة ديار الشام ، فقامت فلسطين وشرق الاردن

وسوريه ، وكانت هذه التجزئة اول خطوة في بناء الوطن القومي اليهودي .

وفي عام ١٩٤٨ قامت اسرائيل في ظل التجزئة وكانت من حولها حكومات عربية متعددة ، وجيوش عربية متعددة ، وحين انطلق العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ على مصر كان في حساب الدول المعتدية انهم يواجهون حكومات عربية متعددة وجيوشا عربية متعددة .

وفي هذا العدوان الاسرائيلي الاخير في شهر حزيران (يونيو) ، ضربت اسرائيل في مصر والاردن وسوريه ، اين تشاء وكيف تشاء ، وهي لا تواجه جبهة عربية واحدة ، ذات خطة واحدة على رأسها قيادة واحدة .

في هذا كله يتجلى الجواب على السؤال الكبير ، لقد انهزمنا في ظل التجزئة ، لقد انهزمنا لاننا لم نحقق الوحدة ، والوحدة التي أعنيها ليست لفظا لغويا ، او معنى عاطفيا او تعبيرا حماسيا ، وانما اعنيها وحدة حقيقية قومية دستورية ذات سيادة كاملة وسلطة شاملة .

ومما يدعو الى هذه الوحدة الكاملة ، ذات السيادة الشاملة ، ان التجارب الماضية ، ان تجارب التنسيق الماضية ، تجارب العمل المشترك ، قد قصرت عن بلوغ الغاية .

امامنا اولا : ــ تجربة الجامعة العربية ، لو قيست بعمرها الطويل لرأينا جهدها قليلا وضئيلا دون مستوى الاحداث .

امامنا ثانيا : ــ تجربة مجلس الدفاع المشترك ، كل ما انجزه انه اضاف الى الملفات العربية ملفات اضافية .

امامنا ثالثا : ــ القيادة العربية الموحدة ، رمي بتوصياتها وطلباتها في اكثر من مناسبة .

امامنا رابعا : ــ تجربة مؤتمرات القمة ، كان جهدها الاقصى انها وضعت العمل العربي في حده الادنى .

ولقد كشف العدوان الاسرائيلي الاخير اكثر من اي وقت مضى ، ان هذه التجارب الماضية قد فشلت ، وان هذا الفشل دفعناه ثمنا غاليا ، اصاب كرامتنا وشرفنا ، وادى الى احتلال ارضنا وتشريد اهلنـا .

ولهذا اصبح لا بد لنا من الوحدة الحقيقية ، تبادر اليها الدول العربية التي تتشابه في ظروفها واوضاعها ، ان اسرائيل تمثل جماعات من شعوب مختلفة على رأسها حكومة واحدة ، ونحن امة واحدة على رأسنا ثلاث عشرة حكومة .

ولقد انتصرت اسرائيل لان لديها وزير واحد لشؤون الخارجية وعندنا ثلاثة عشر وزيرا .

ان اسرائيل لها وزير واحد للدفاع ، ولنا ثلاثة عشر وزيرا .
ان اسرائيل لها وزير واحد للاقتصاد ولنا ثلاثة عشر وزيرا .
ان اسرائيل لها وزير واحد للشؤون الاعلامية ولنا ثلاثة عشر وزيرا .

هذه هي اسباب انتصار اسرائيل ، وانكسار العرب ببداهة وبساطة .

ونحن لو نظرنا في مقومات الوحدة في الامة العربية لوجدناها متوافرة متكاثرة اكثر منها في اية امة اخرى بلا استثناء .

الاتحاد السوفييتي شعوب متعددة ، ذات اصول متعددة ، ولغات متعددة ، ومن اعظم اسباب قوتهـا الصناعية والعلمية والعسكرية وانجازاتها النووية انها دولة واحدة ، ولو كان كل اقليم فيها دولة مستقلة في مثل حالنا ، لغدت ضعيفة واهنة لا تطمع في بلوغ كوكب الزهرة .

وهذه الولايات المتحدة ، شعوب مهاجرة من كافة اقطار الارض ، ومن اسباب طاقاتها الصناعية الضخمة ، وتقدمها العلمي وتفوقها في المجالات الذرية وآفاق الفضاء ، انها دولة واحدة ولو اصبحت كل ولاية فيها دولة مستقلة لأصبحت من الدول النامية تلتمس العون والمدد .

وهكذا الامثلة عديدة ، في مجال سردها ، وكلها يقين ما بعدها يقين تثبت ان مشاكل العرب الرئيسية ليس لها حل الا بالوحدة ، فالتجزئة هي سبب كل المشاكل العربية ، والوحدة علاجها ولا علاج سواها .

والواقع ان الوحدة بالنسبة الى الامة العربية ليست حدثا جديدا ، فان اقامة الوحدة هي عودة الى الاصل ، وهي عـودة الى الامر الطبيعي وان قيام ثلاث عشرة حكومة على أمة واحدة ، هو الامر الطارىء ، هو الامر غير الطبيعي ، وهو الامر الذي لا داعي لبقائه او دوامه .

فمـا الذي يفرّق بين السوري والعراقي ، بين السعودي

والكويتي ، بين الاردني والفلسطيني ، بين الليبي والتونسي ، بين الجزائري والمغربي ، بين السوداني والمصري ، وما الذي يفرّق بين هؤلاء جميعا فيما بينهم ، كلهم امة واحدة مصالحهم واحدة ، ثقافتهم واحدة ، ارادتهم واحدة ، ومصائرهم واحدة .

ثم هذه الحدود المصطنعة في الوطن العربي ، من الذي صنعها ؟ الاستعمار الدخيل البغيض . فان اسماء الاقطار هي اسماء لأقاليم جغرافية ، تماما كأسماء المحافظات او المديريات او المقاطعات في الدولة الواحدة ، وما سوريه والعراق والحجاز ونجد وتونس والمغرب والجزائر وليبيه والسودان وفلسطين الا اسماء لاقطار متعددة في الوطن الواحد .

وما من تصريح او حديث او خطاب يصدر عن قادة العرب الا ويصف هذه الحدود بأنها حدود مصطنعة ، فاذا كانت كذلك ، وانها كذلك ، لماذا تبقى ، لماذا تظل قائمة ؟ ثم من الذي يحمي هذه الحدود المصطنعة ، من يبني عليها المخافر ، ومن يراقب فيها جوازات السفر، من يستوفي فيها الجمارك ؟ انها الحكومات العربية التي تتحدث عن الحدود المصطنعة ، وتخطب عن الحدود المصطنعة .

ان الاستعمار الذي صنع هذه الحدود قد ولّى الى غير رجعة ، ولكننا نحن الذين نحتفظ بهذه الحدود المصطنعة ، نبنيها ونحميها ، ثم نستنكرها كلاما ، شعرا او نثرا .

في اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) من كل عام ، تثور هذه المعاني من مكامنها ، ولكن بعد الخامس من حزيران (يونيو)

من هذا العام ، يجب ان تصبح هده المعاني منطلقا للثورة العربية الكبرى ، ثورة تغيّر كل حياتنا الا اهدافنا الكبرى ، وكنوزنا الروحية والفكرية ، بل ان الثورة الكبرى مطلوبة اليوم لحماية هذه الاهـداف وهذه الكنوز .

لقد قامت في الوطن العربي في القرنين السابقين ثورات اقليمية مجيدة انتزعت الاستقلال وحققت الحرية ، ولكن نكسة حزيران (يونيو) يجب ان تفجّر في الامة العربية ثورة فوق كل الثورات ، يجب ان تفجّر الثورة الام تحتضن جميع الانتفاضات والثورات .

وان هذه الثورة الام هي قيام الدولة العربية المتحدة ، تبادر الى انشائها الدول العربية التي تتشابه في ظروفها ، وتظل مفتوحة للدول العربية الاخرى تدخلها حين تشاء .

هذه الدولة العربية المتحدة يكون لها رئيس واحد ، وبرلمان واحد ، للسياسة وزير واحد ، للدفاع وزير واحد ، للمال وزير واحد ، للثقافة وزير واحد ، للاعلام وزير واحد ، للبحث العلمـي والطاقة النووية وزير واحد ، جميعهم تختارهم كفاءتهم وترشحهم قدرتهم على النضال ، فلا حرج ان يكونوا جميعا من الجزائر او من مصر او من سوريه او العراق ، فالوزراء في اميركه لا يختارون حسب الولايات ، والوزراء في روسيه لا يختارون حسب الاقاليم ، وانمـا تؤهلهم مؤهلاتهم وكفى .

الوحدة عمل جبار ، والطريق اليها مليء بالمصاعب والمتاعب ، ولكن هذه المصاعب والمتاعب أهون من النكبة الكبرى التي حلّت بنا ،

وأيسر من النكبات التي تنتظرنا .

وربمجادل يجادل، ان الوقت ليسوقتالوحدة ، انه وقتازالة آثار العدوان ، بعد ذلك ندرس ونبحث ونخطط وننفذ ، للوحدة وغير الوحدة .. ذلك وهم عريق في الوهم . ان ازالة آثار العدوان لا تتم بهذا الجهد المبدد في ساحة العمل العربي ، ولا بالخطب الرائعة التي تلقى في الامم المتحدة ، ولا بهذه الاسفار العربية التي ضجت منها الطائرات .

ان العدوان قد تم بالقوة ، ولا يزول الا بالقوة ، ان القوة العربية الموحدة هي كفيلة بازالة آثار العدوان ، اللاحق والسابق ، وان الجيش العربي الواحد على رأسه قائد واحد ، في دولة عربية واحدة ، هو الذي يستطيع ان يحرر سيناء ، والضفة الغربية ، والمرتفعات السورية ، وان يكون بعد ذلك قادرا على تحرير الوطن السليب .

ورب سائل يتساءل ، وما شأن منظمة التحرير الفلسطينية في امر الوحدة ؟ وما شأن اليوم الثاني من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) في قيام الدولة العربية المتحدة ؟

والجواب على السؤالين في غاية البساطة واليسر ، ان شعب فلسطين كأي شعب من الشعوب العربية ، من حقه الكامل وواجبه المقدس ان يدعو للوحدة ويعمل لها ، ان شعب فلسطين هو وحدوي العقيدة وقد نادى بها منذ عام ١٩١٩ وناضل من اجلها ، وسقط شهداؤه بين جزرها ومدها ، وقد اعلنها شعب فلسطين غير مرة انه غداة التحرير لا يطمع ان يقيم الدولة الرابعة عشرة ، وانما يتطلع ان يكون عضوا اصيلا في دولة الوحدة .

اما شأن هذا اليوم الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) في قيام الدولة الاتحادية ، فانه لا مرية فيه ولا ريب ان وعد بلفور الذي نص على اقامة وطن قومي يهودي ، وما تبع ذلك من قيام اسرائيل ، وما تلا ذلك من الكوارث القومية والنكبات العسكرية ، حدث ذلك كله لان اسرائيل لا تجد من حولها الدولة العربية المتحدة ، التي تعرف كيف تصفي حسابها معها ، ثأرا لشرف الامة العربية وكرامتها ، واستئصالا لشأفتها ، وتحريرا للوطن المستباح والقدس الجريحة ، ونجدة للعربي النازح ، العربي الشريد الطريد .

وان منظمة التحرير الفلسطينية ، التي تدعو في هذا اليوم الى الوحدة ، ليست متخلفة عن النهوض بواجباتها القومية في ميدان النضال ، في ميدان الكفاح بالسلاح .

ان منظمة التحرير الفلسطينية تقود النضال الشعبي في داخل الوطن ، في جميع الساحات ، لقد خرجت المنظمة من مؤتمر الخرطوم الى ميدان النضال المسلح ، ان شعب فلسطين داخل وطننا المحتل يتحدى العصابة الاسرائيلية بكل طرق المجابهة وكل صنوف التحدي، بالمقاومة السلبية وبالمقاومة المسلحة .

وقد اصبحت المنظمات الفدائية سواء كانت قواعدها في الداخل او الخارج ، كلها تعمل تحت راية المنظمة .

بالاضراب السلمي وبعدم التعاون في جميع ميادين الحياة ، يتصدى شعبنا للعصابة الاسرائيلية .

بالاعمال الفدائية الشجاعة ينزل شعبنا الخسائر في الاهداف العسكرية للعدو ، ومنشآته وخطوط مواصلاته .

بالصبر والايمان يصمد شعبنا امام حملة التجويع والافقار التي تتعرض لها جماهير العمال والفلاحين ، والتجار والموظفين .

وفي هذه الغمرة من النضال يتساقط الشهداء من ابطال منظمة التحرير وتغص السجون والمعتقلات بالمئات من شبابنا وطلابنا المناضلين .

وتقف منظمة التحرير في هذه المعركة ، لتضع فيها كل طاقاتها النضالية والمالية والفكرية حتى تتحول الى حرب شعبية شاملة .

هذا هو اليوم الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) في وحيه الى شعب فلسطين ، وفي الهامه للامة العربية . ليس يوم نواح ولا بكاء ، ولا دموع ولا رثاء ، ولا حسرات ولا زفرات ، ولكنه يوم عزم وايمان ، يوم دعوة صارخة الى الوحدة ، يوم تحية الى الشعب البطل الذي يناضل في الضفة الغربية وفي قطاع غزة وفي المنطقة المحتلة ، في فلسطين من البحر الى النهر .

تحية الى الفدائيين ، تحية الى المناضلين ، وتقديسا للشهداء الابرار مقامهم مع الصدّيقين والانبياء ، وحسن اولئك رفيقا .. صدق الله العظيم .